

أزمة فكر

بؤر معتمة تبحث عن العيش الرغيد تحت جناح السلطة



• أحمد الجارالله



• عبد الخالق عبدالله



• عبد الرحمن الراشد



• عبد الله الغدائي

الجارالله ..
زهايمر
من نوع فاخر!

عبد الخالق ..
تنصم وضميرك في
إجازة مدفوعة الراتب!

الراشد ..
حديثك عن الكويت
لا يليق إلا بـ «الرؤوم»

الغدائي ..
ضيّعت اللبن
في خريف العمر!

المثقف يحظى بمكانة راقية في المجتمع؛ فهو سكر الكثير من أيامه ولياليه، القراءة وقضى جل عمره وذروة شبابه ماصطاً بجيش من الكتب والروايات وقصص التاريخ المزودة بالمعلومات والحقائق لكي يستفيد من صارتها في المواقف الحرجة التي تواجهه وكذلك مجتمعه بما يقتضيه المنطق والضمير دون تضليل أو تزيير أو تدليس وتزوير!

على مر التاريخ لعب المثقفون دوراً تنويرياً ساهم في تدفق المعلومة الصحيحة المقرونة بالبرأي السديد المتجرد من المصالح الفئوية والنظر الضيقة، فباتوا مصابيح حقيقية أنارت الدروب في مراحل معتدلة وساهمت في صياغة مجموعة القيم والمبادئ التي يجب أن تتحلل بها المجتمعات، وليس المثقفون وحدهم، فكانوا من العلامات الفارقة والمرامح الثابتة التي يستأنس بأبرياءه ويُنهمل من فكرها.

وفي تغريدة أخرى يدعو للصبح بعدم التعرض للرموز وبطلب بالتهودة... بينما كل قيمه الإنسانية وضميره الأخلاقي كان في إجازة مدفوعة الراتب طوال الشهرين الماضيين وإجراته قطر تعرضت لسلب الطعن والتزوير والتزييف والتحريف والفرصة والفكر والحصان وانتخابات لحقّق الإنسان... لكن الدكتور ما يقدر بحالف تعليمات، طويل العمر...! أما النموذج الأخير فهو لا يستحق عناء الرد عليه، فهو بتغريداته يكشف ضحالة تفكيره ويهجم نفسه من خلال ما يوردته من معلومات مغلوطة، رغم أنها سهلة ومتاحة ويعرفها حتى طلاب الصف السادس الابتدائي!

أحمد الجارالله 75 سنة، رئيس تحرير صحيفة كويتية، بدأت أعراض زهايمر في نوع فاخر تداومه رغم محاولات تشخيصه الدائمة، فصعب التنبؤ لا يكتفي لتغطية الجهل الممتش في مدينة ومخبرته وتغريدته عن الإمارات خير دليل... إذ لا فض فهو ولا عاش حاسده:

الملك عبدالعزيز قال ما يهز بريق رقيب وفيه آياته الإمارات، وقال عبدالناصر لن تستطيع أي قوة أن تضرب قبائل الإمارات لأنهم من أعظم القبائل!

أنتجت تغريدته الجيذة ولم تنته تعليقات النشطاء في مواقع التواصل الاجتماعي التي تورد منها النص التالي: الملك عبدالعزيز توفي 1953 وعبدالناصر 1970 فيما أسست 1971...!

ويس... هذا هو الجارالله الذي لا يعرف من الصحافة وقواعدها وثقافته إلا لبس «البشت» والقفلة، على الدواوين وشيوخ الحليج!

وزير الإسكان السعودي السابق ماجد الحقيقل صاحب التصريح الشهير: «لن تعاني أزمة إسكان وأرض وإنما تعاني أزمة فكر...»

حتاج أن نستعيد تصريح هذا الوزير، الذي فقد منصبه بعد سنة وبعده أشهر من تكليفه، لتعديله إسقاطه على الوضع الراهن بعد التعديل:

المشاكل الخليجية تعاني «أزمة فكر»!

والغريب في الموضوع أن المذكورين وغيرهم من المثقفين تجاوزوا الستين والسبعين من العمر والمعرض لهم في مرحلة النضوج الكبير لكن ما تشاهده حالياً هي المراهقة بعينها... عندما شاهدت مسرحية الفنان الكبير عبدالجسسن عبدالرضا في منتصف التسعينيات، مراهق في الخمسين، كان طابعه عاطفياً ومروياً ومائساً... اليوم وبعد 22 سنة اكتشفنا المراهق الثقافي والسياسي... واقتننا أنهم الأخطر على مجتمعاتنا؛ فمن يتنقل خرواً من دول لدليل ويصصف في ذيل الطواوير ويكفر الفتنة والاستنزاف بين الجماهير ويتكبر القِيم والمبادئ والقوانين... فهو حتماً مراهق في الفكر ومسجل خطر، سواء كان شاباً في الثلثين أو حتى عجوزاً في الستين!

كيف ستتقبلون أي رد فعل سلبى خارجي على التغيير الأخير الذي حدث في مؤسسة الحكم في المملكة العربية السعودية؟! هل سترونه حقاً لتعبير ونصائح وتبرير أم تفضلاً على شؤونكم الداخلية؟! أما النقطة الثالثة التي تطرق لها الدكتور دون تحقق وربما بقصد الإساءة لقطر وهو بذلك مشارك ومساند وداعم في نقل الباطل... مساهمته في نشر فيديو «بزر» يبحث عن شهرة يتحدث بشكل مسيء عن مشاركة القوات القطرية في حرب اليمن ضمن قوات التحالف... بأسلوب طفولي وكأنه يتحدث عن مسلسل كارتون في «سببسون»!

الغدائي بهذا التصرف كأنه مراهق في بداية العشرين، ولو أنه كلف نفسه قراءة سير الأحداث، بما أنه قارئ نهم لوحد الحقائق عند رجال الجبهة المطلعين على التفاصيل... والتي بناه عليها كرموا القوات القطرية في أبريل 2017 ونوفمبر 2016 من ادعاءكم تنسيق هذين التاريخين بشيوع طويلة... ولو كان هناك مجرد شبهة لعلينا قاده التحالف في الميدان... لأنهم صدقوا وأفسدوا فقالبوا الحق وكربوا ما يستحق...

أما الأكاذيب الملققة في خارج من غرف السياسة والإعلام لتشويه صورة قطر وشيمنتها في جميع وسائل التواصل كضريبة لوقها من القضايا العربية والإسلامية.

ومن الغدائي إلى المناضل الليبرالي عبدالرحمن الراشد، الذي وصل لمرحلة من الشوفينية في حد الانتقاص من الآخرين والحق عليهم والتعصب لأعسى لراهبه؛ مما يدفعه لحشر انفة في قاضي الدول الأخرى وبوقها... يشكك تارة ويهدد تارة أخرى، وهو يعلم أن كلامه ووعده لا يتجاوز كنية «مكتبة» ولا يؤثر في ربما «مكتبي»!

تعاير الكويتي الراشد بتحريرها وتمنّ علينا نتيجة حياتها ونزاهتها في الأزمة الخليجية التي اقتعلتها عندما ربطت الشياطين...

في عهد الراشد، الوقيف مع الكويت وغيرها من دول مجلس التعاون الخليجي واجب لا فضل فيه أو جميل والخطر الذي يهدد ضلعها هو مهدد حتمي للجميع... والتحرير يهدد ضلعها فيه 32 دولة وليست دول الحصار وحدها حتى تتغنى بهذا المجد وتذكر به... وهذا حديث لا يتلطف به سوى ضفاف المروج وليلق إلا بـ «الرؤوم»!

الغدائي الثالث هو الدكتور الأكاديمي عبدالخالق عبدالعظيم الذي يبدو أنه يحاول الارتزان والظهور كواعظ ومصطلح اجتماعي ومحلل سياسي، لكنه يقع في شر أعماله وتناقضاته، وكلما حاول التقول على قطر يُرذّل رداء من جسد إمارته وأفعاليها الشريرة وأعمالها الشيطانية حتى باتت «عربية» أمام الرأي العام العالمي الشيطانية وبزومها في العملية الإقليمية الفاشلة!

يقول في إحدى تغريدته الخطيرة: «قطر تتخندق خلف قرافة تركية»!

يقول هنا الكلام على أساس أن الجيش الإماراتي الوطني يضم من أفرادها إلى ضباطه من القبائل والحمايل ومن أهل الدار... وليس جيشاً مستجراً لقواعد فرنسية ومصيرية ويضم عصابات وميليشيات ومترقة من «البلاد» ووتر، وعناصر أجنبية لحراسة القصور الرئاسية!

إذا كان بيك من زجاج فقط وجهدك يا دكتور!

فيغضب النظر عن التمدد الذي اختاره المثقف لنفسه في دول الحصار، إلا أن المسائل الأخلاقية كان يجب أن تبقى حاضرة بقوة في خضم الخلاف السياسي، لكن الشيء المذهل هو أن غالبية اختارات الالتحاق بصناعات النفط، وتبدي مواقفهم، وتريد طروحاتهم، فظفروا بأداء سطحي وطفح وتفكير ضحل فاضح لا يليق بفلسفتهم، ليعبروا عن مراهقة في خريف العمر لا تخلو من التملق والتسلق بحثاً عن مكاسب شخصية ومكافأة نهاية الخدمة!

ولو أردنا حصر المثقفين والفنانين والأدباء ورصد ما قدموه في هذه الأزمة فإننا سنحتاج إلى مجلدات، نصفها يصلح أن تدهى لمسوحة غيتيس للأرقام القياسية «فضل التناقضات والإنشاعات»!

و لكن سنكتفي بعرض أربعة نماذج منهم وهم:

عبدالله الغدائي مثقف.

عبدالرحمن الراشد مفكر.

عبدالخالق عبدالله أكاديمي.

أحمد الجارالله صحفي.

هؤلاء الأربعة يفترض أنهم مثقفون وعندهم تجارب عميقة كل في مجاله، وحانت الفرصة ليقولوا للناس عن «الصح والخطأ...» والحق والباطل، بما تملكه عليهم ضمائرهم، لكن للأسف تحولوا إلى «معلمين» وأبواق لأنظمة بطرح ضعيف في الرأي والمعلومة وبعضهم يؤلف قصصاً وأكاذيب، وآخر يردد ما يسمع دون تحر أو تحقق، وكلمة ظفروا متلونين في مواقفهم ومستقرين بلانهم لأنها لا يتعدت عن قولهم واقتربت أكثر من جيبوبس...!

الدكتور الغدائي 71 سنة، وهو حاصل على الدكتوراه من جامعة أكستر البريطانية 1978 في تخصص النقد والمواد النظرية... لذلك قضى حياته منظرًا وقياسوفاً يتحدث عن قيم ومبادئ وعندما احتاجه الموقف، نسف مسيرة النضال والكفاح ليربح قلبه ويرتاح، فهو ليس في مرحلة الضمام... هو أخطر الابتهاج والاستسلام...!

الغدائي الذي يقول إنه لم يفتح العلية التي فيها شهادته الدكتوراه منذ وصلته من الجامعة قبل 40 سنة وحتى اليوم مما جعله مثاراً للسخرية والتندر في مواقع التواصل الاجتماعي، مستنداً بذلك إلى أنه يريد إيصال رسالة معينة من خلال هذا الموقف...!

وقد وصلت الرسالة، وهي أن هذا الرجل رغم إحترامه البالغ له في السابق يقوم بتصرفات غريبة وتصريحات مريبة وتحدثاً في الآونة الأخيرة بشكل لا يتماشى مع قيمته ولا يليق بعلمه أو عمره!

الدكتور السبعيني «شطح» في حواراته الأخيرة، ومنها عندما تقلص بالحديث عن انتقال الحكم في دولة قطر في منتصف التسعينيات، ليبرر تدخل السعودية وبزومها في العملية الإقليمية الفاشلة!

ورغم أن هذا شأن داخلي وتم بشكل سلمي حتى بتأييد ومبايعة، فإن الغريب هو كيف يقع مثقف محض في هذا الخطأ الساذج والذي لا تحتاج إجابته صراحة إلى مثقف مغرور... فما بالك بدكتور...!

مقدور عليه بسؤال - وهو بالمناسبة معني من الإجابة للظروف الضاغطة على المثقفين، والعقوبات، الداعسة، على المتعاطفين والسؤال هو:

وقد لعب المثقفون في عصور مضت دوراً كبيراً في واقع الناس ودينامياهم، وكان لهم حضور ريادي في إصلاح الواقع، لكن ذلك لم يكن دون ثمن فقد عانوا كثيراً من شرور الجاهلين والحكام المستبدين.

فيما بعضهم أن يكون بؤراً معتمة عبر تبني مواقف تتناقض جذرياً مع الحق والإنصاف، مفضلاً العيش الرغيد تحت جناح السلطة!

المشهد الثقافي في الأزمة الخليجية لم يكن أحسن حالاً من السياسي أو الإعلامي، بل ربما كان أسوأ بعد أن خذل معظم رجاله مجموعة المبادئ الإنسانية والقيم التنويرية التي تعلموها ورائها وعليها وبنوا القضاة وضججا بالمطالبة بها أو الدفاع عنها، وانحازوا للأفكار القمعية والسلموية مجارة الضباب الجريد...!

أين هو المثقف الخليجي في مواجهة الأزمة التي تعتمها بنقلتنا حالياً، وما دورها فيها، وما رايه في الحصار الذي تواجهه قطر؟ وما موقفه من المثالية بمصاهرة خرية والتعبير والتعاطف وإغلاق وسائل التواصل والإعلام وانتهاكات حقوق الإنسان؟

تكن أهمية هذه الأسئلة في نظرة المجتمعات إلى المثقفين باعتبارهم عقولاً نيرة، على ضوء تفاعلهم التي من المفترض أنها تشهد طريق التحرر والعدالة والتنمية والتطور.

لاصناف فإنه لا يمكن وضع الجميع في سلة واحدة، هكذا كان الحال على الدوام، في كل أنحاء العالم، وفي مواجهة الكثير من القضايا المشاكسة والصعبة، وفي الخلق لم يحتفل الوضع كثيراً، ومع ذلك يجب التمييز بين مجتمعات ديمقراطية مهيأة لاستيعاب مختلف الآراء، وبين ديكتاتوريات غير قادرة على استيعاب الصوت الآخر، لذلك جاءت قرارات الدول الخليجية الثلاث وسعت التي تحاصر قطر، بمعاقبة كل من يبدي تعاطف غير لائق مع القوى الاجتماعية وغيرها، لتصب في سياق مصادرة الآراء، بصورة مبكرة ومبتكرة، وإسقاط المجال قطع أمام كل من يتبنى سياسة الحصار ويكيل السباب والشتم... دون وازع أو لومة لائم!

تنمو الثقافة وتزدهر في المجتمعات التي تنصت لحرية الرأي والتعبير، لذلك كانت أكثر ازدهاراً ورفقياً في قطر عنها في دول الحصار، فانتبرت للدهاق عن قضيتها الوطنية وعن مكسباتها الحضارية ليمارس المجتمع حرية التعبير عن آرائه، دون رقيب حاسبه، أو سجان ينتظره، ولم يعرف المثقف النظري إلى عمل السمووم والدعوة للاقتسام بين آرائه هذه المثقف والمصري، وفي كل عمل يتكلم كان يراعي هذا الالتزام الأخلاقي والمصري، وفي كل عمل يقوم في المقابل شيمت أسوأ المثقفين والمثقفين في دول الحصار سقوطاً برعوا لأسامة كفاً ننظر إليها بنسبة من الاهتمام قبل أن تتسلخ من أسامة قواعد الحوار وأدب دراجت الإحترام، فانحرفت خلف أخيار ملققة دون أن تجرى المصادفة وبنت عليها آراء مزينة دون أن تسمع الطرف الآخر فسقطت معها الموصوعية!

وإذا استثنينا المواقف السياسية التي من الواجب والطبيعي أن تكون محل خلاف فإن الطب الأكبر والأدب الأخطر هو تعاطفها وحضارية قضايا من المجتمع أنها ليست محل جدل، كما هو الحال مع انتهاكات حقوق الإنسان، التي حثت بتعاطف ومتابعة وحرص من دول الغرب ومؤسسات دولية ولم تؤثر في ضمير مثقف خليجي يدعي حرصه على منطقتة وعلى نظورها وتمنتها وصيانة حقوقها.

محمد المري
رئيس التحرير المسؤول
Email: mohd-almari@watan.com
@mohdalmari2022
العدد 12 | 2017

اختلط فيها البحث عن مكاسب ومكافأة نهاية الخدمة
ملأتوا الفضاء ضجيجاً وعندما احتاجكم الموقف تخليتم عن قيمكم